

# المدارس السلفية المعاصرة

قراءة في التنوع، والعلاقة بالآخر

تأليف

عبدالله بن إبراهيم الطريقي  
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء  
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٣١هـ

**مقدمة :**

الحمد لله الكريم الوهاب ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والآل والأصحاب. أما بعد :

فإن الحديث عن السلفية يتسم بأمور :

- ١ - أنه موضوع قديم جديد ، قديم في أصوله وتطبيقاته ، جديد في فروعه وتعدد نماذجه ومدارسه.
  - ٢ - أنه عالم مجهول من لدن كثير من المسلمين ، فضلاً عن غيرهم ، والطالب الراغب ، أو الباحث النهم يحب الولوج في عالم المجهول.
  - ٣ - أنه يحمل فكراً جاداً وصلباً ، يقوم على :
    - أ - نصوص الوحيين ، مما ظهرت دلالاته من المتواتر ، وما صح ثبوته من أحاديث الآحاد.
    - ب - إعمال دلالات تلك النصوص وعدم إهمالها ، أو تأويلها.
    - ج - انتهاج الاعتدال والوسطية في الأحكام وفي المواقف والتصرفات والعلاقات.
 من هنا تأتي أهمية الموضوع إذن ، وتبدو أسباب اختياره إلا أن حديثنا عن السلفية ليس مطلقاً ، بل هو مؤطر ومحدد بهذا العنوان (المدارس السلفية المعاصرة ، قراءة في التنوع ، والعلاقة بالآخر).
- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :**

قد لا تبدو أهمية الموضوع بدون شرح مشكلته .

ولذا يمكن اختصار المشكلة في الآتي :

السلفية ظاهرة إسلامية عالمية ، أخذت في الانتشار والتوسع على شكل أفراد وجماعات أو جمعيات ، وفرضت وجودها في معظم المجتمعات البشرية ، ولقد يبدو للناظر أنها مدرسة واحدة لا تعدد فيها ولا تنوع ولا اختلاف ، سواء أصولها النظرية أو تواصلها وعلاقتها بالخير.

إلا أن من يسبر غورها ، وغور ذويها ربما بدا له شيء آخر.

وهذه الدراسة تحاول معالجة هذه المشكلة وبيان كنهها وحقيقتها.

كما تحاول أن تجيب عن التساؤلات الآتية :

- س - ما المراد بالسلفية؟
  - س - وهل تحتوي على مدارس مختلفة؟
  - س - وإذا كان ثمة مدارس فما أشهرها؟
  - س - وما سمات كل مدرسة؟
  - س - وما مدى تواصلها مع الغير؟
  - س - وهل يمكن وضع هذه المدارس على قدم المساواة أم بينها فروق؟
- الدراسات السابقة :

قد يكون من المتعذر إحصاء الدراسات المتعلقة بالسلفية ، تاريخاً وموضوعاً ، نظراً لكثرتها وتشتتها ، يستوي في ذلك ما كتب من داخل السلفية ، وما كتب من خارجها ، من المسلمين وغير المسلمين.

أمّا ما يتعلق بموضوع "المدارس السلفية المعاصرة" فإنني - بحسب مطالعاتي المحدودة - لم أظفر بشيء عنها ، وذلك بقدر ما كان يكتنفه من الصعوبة ، كان حافزاً لدراسته ، برغم ما فيه من مغامرة.

منهج الدراسة :

لعل من أليق المناهج العلمية المناسبة والمفيدة في هذا الموضوع :

- ١ - المنهج الاستقرائي ، بتتبع جزئيات الموضوع للوصول إلى نتائج كلية.
- ٢ - المنهج الوصفي ، الذي يصور واقع المدارس السلفية المعاصرة ويرصد نشاطها كما هو.
- ٣ - المنهج التحليلي ، الذي يقوم على بيان الجزئيات ووظيفة كل جزء.

وأعترف أن هذا التحليل من اجتهادي الشخصي ، فإن أصبت فيه فذلك محض التوفيق من الله تعالى .

تقسيمات الدراسة :

المقدمة.

التمهيد.

المبحث الأول : المدرسة المحافظة.

- مفهوما ، وشعارها ، وجذورها.
- معالمها العامة.

- أنواعها ، سمات كل نوع.
- علاقتها بالآخر.
- تقويم إجمالي.

#### المبحث الثاني : المدرسة التجديدية.

- مفهومها ، شعارها ، جذورها.
- معالمها العامة.
- أنواعها ، سمات كل نوع.
- العلاقة بالآخر.
- تقويم إجمالي.

#### المبحث الثالث : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعاصرة.

- مدخل في سبب تخصيصها.
- دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب والسلفية.
- سمات الدعوة المعاصرة.
- أنواعها.
- علاقتها بالآخر.
- تقويم إجمالي.

#### خاتمة.

هذا وأسأل الله تعالى السداد في القول والعمل.

وأزجي شكري للقائمين على مهرجان الجنادرية بالحرس الوطني في المملكة العربية السعودية الذين شجعوني على تدوين هذه الورقات .  
والله ولي التوفيق ، ، ، ، ،

الرياض

١٤٣١/٢/٢٠ هـ

## تمهيد موجز في :

- مفهوم السلفية وحقيقتها وتاريخها.
- المراد بالسلفية المعاصرة.
- المراد بالمدارس.
- أنواع المدارس.

أولاً: مفهوم السلفية وحقيقتها ، وتاريخها:

السلفية نسبة إلى السلف :

والأصل اللغوي لمادة "سلف" يدل على تقدم وسبق ، كما يذكر ابن فارس ، قال : "ومن ذلك السلف : الذين مضوا"<sup>(١)</sup>.

أما الأزهري فقد فسر السلف بالقرض ، وهو تفسير شرعي ، لكن استدرك بقوله : والسلف أيضاً : من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل ، واحدهم سالف ومنه قول طفيل الغنوي :

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم      وصرف المنايا بالرجال تقلّب

أراد أنهم تقدمونا ، وقصد سبيلنا عليهم : أي نموت كما ماتوا"<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن الأثير قريباً من ذلك ، وزاد : "ولهذا سمي الصدد الأول من التابعين السلف الصالح"<sup>(٣)</sup>.

ووردت لفظة "سلف" في قوله تعالى إخباراً عن فرعون وقومه : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ

سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف : ٥٦] . قال ابن عطية : "هو جمع سالف

كحارس وحرس ، والسلف : هو الفارط من الأمم المتقدم ، أي جعلناهم متقدمين

(١) معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٣١/١٢ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣٩٠/٢ .

للأمم الكافرة عظة ومثلاً لهم يعتبرون بهم أو يقعون فيما وقعوا فيه"<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فـ(السلف) يطلق على المتقدم أياً كان، هذا من حيث الحقيقة اللغوية، أما الحقيقة الشرعية فليس لهذه اللفظة معنى خاص فيها، وأما الحقيقة العرفية لدى علماء الشريعة فإنها تطلق مراداً بها الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم في القرون الثلاثة الأولى<sup>(٢)</sup>.

قلت: ولعل ذلك المفهوم المطلق من حيث اللغة ما جعل أكثر العلماء السابقين واللاحقين لا يكتفون بلفظة "السلف" بل يأتون بها موصوفة فيقولون: "السلف الصالح".

هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون أو الموضوع، فإن السلفية في حقيقتها: منهج فكري يقوم على قاعدتين:

الأولى: طريقة في التفكير.

الأخرى: التزام في السلوك.

أما الطريقة في التفكير؛ فيمكن إجمالها بإجلال النصوص التشريعية وتفسيرها في ضوء لسان العرب، ووفقاً لفهوم الصحابة والتابعين وعدم إعمال التأويل فيها إلا في حالات استثنائية.

وأما التزام السلوك، فهو موافقة العمل العلم، في جملة الأحكام، عبادات، ومعاملات، وأخلاق وآداب.

وباختصار فإن مدلول السلفية كما يقول الدكتور مصطفى حلمي: "أصبح

(١) المحرر الوجيز ٥٥٦/٢٥ تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين.

(٢) ينظر: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٩.

اصطلاحاً جامعاً يطلق على طريقة السلف في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه<sup>(١)</sup>. وبناء على ذلك فالسلفية منهج، وليست جماعة، أو فرقة أو طائفة، أو حزباً.

ومن فهم غير ذلك فهو مخطئ.

إذ لا يمكن تصنيفها ضمن الجماعات والفرق، بل هي منهج قد تلتزمه جماعة ما، أو بعض أفرادها أو تلتزم به دولة، كما هو واقع بالنسبة للمملكة العربية السعودية، أو يلتزم به أفراد لا علاقة لهم بدولة أو جماعة.

أما تاريخ السلفية فإنه يبدأ منذ عصر الصحابة، فإنهم قد أخذوا بمنهج الاتباع والتأسي بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تبرز معالم الاتباع بشكل صريح عند وجود الأضداد من المناهج المخالفة، كمنهج التكفير، ونفي القدر، وتأليه الإمام علي عليه السلام، وسب الصحابة.

ولا شك أن مثل هذه المناهج والآراء قد ظهرت منذ عصر الصحابة، ووقفوا منها موقفاً صلباً، واقتدى بهم في هذا التابعون ثم تابعوا التابعين.. وهكذا.

وأخذ التفرق الفكري في الانتشار والتشتت ونمت مذاهب وتيارات وفلسفات، حتى أصبح للسلفية تميزها ومعالمها.

وفي العصر الحديث والحاضر تطور مفهوم السلفية عند أنصارها وخصومها.

فأما الأنصار فقد أخذ بعضهم - وبدافع الغيرة على السلفية - في التعر والتشقيق والمماحكات، فأقحم في مضمونها ما ليس منها، وبنى سدوداً وحدوداً حولها، تؤدي إلى احتكارها، وادعاء الوصاية على الآخرين.

وفي المقابل نلاحظ وجود فئة أخرى من الأنصار تسلك مسلك التيسير والترغيب، وفتح أبواب السلفية مشرعة يدخل منها كل راغب، وإن أخطأ.

(١) قواعد المنهج السلفي، مصطفى حلمي ص ٢٠٩.

ثم نجد بين هؤلاء وأولئك من يمسك العصا مع الوسط فحيناً يوفق للوسطية والاعتدال، وحيناً آخر تتقاذفه الآراء والاتجاهات فيحترق في الاختيار.

ذلك عند الأنصار، أما مفهوم السلفية المعاصرة عند الخصوم، فهو أمر قد يثير العجب، نظراً لاختلاف المنطلق، والمنطق، والمنهج. ويمكن تقسيم هؤلاء إلى قسمين:

الأول: التغريبيون، الذين يعدون الماضي - بترائه وتطبيقاته - سلفية ماضوية، انتهت صلاحيتها، فلا تصلح للعصر الحاضر<sup>(١)</sup>.

الثاني: أهل الفرق والاتجاهات الإسلامية المعارضة للسلفية وهؤلاء نوعان: أحدهما: الفرق المغايرة لمذهب أهل السنة والجماعة من الخوارج والشيعة ونحوهم. ثانيهما: المنتسبون لمذهب أهل السنة، ولكنهم غير متقيدين به من كل الوجوه، بل يوجد لديهم مخالفات ومبتدعات فكرية أو سلوكية. وكلا النوعين أساء الفهم فأساء الموقف.

أما المدارس المقصودة في هذه الدراسة، فهي ما اتحدت في الأصول في الجملة وتنوعت في الفروع، وتعددت آراؤها الاجتهادية، كما نقول: مدرسة أهل الحديث وأهل الرأي، فهي متحدة في الأصول تقريباً، ولكنها متنوعة في الفروع والاجتهادات.

وهذه المدارس يمكن إجمالها في مدرستين: المدرسة المحافظة والمدرسة التجديدية.

والأولى تنح للتعقيد بالأصول والفروع، وتضييق نطاق الاجتهاد في حين أن الثانية تمارس الاجتهاد في أوسع نطاق.

والقاسم المشترك بينهما التزام منهج السلف فكراً ومنهجاً في جملة القضايا والأحكام.

(١) ينظر: السلفية وقضايا العصر، للدكتور عبدالرحمن الزيندي ص ٣٤.



## المبحث الأول

### المدرسة المحافظة

لعل أول علامة استفهام ترد هنا عند لفظة "المحافظة" ماذا تعني؟ وماذا يراد بها؟

فأصل المادة يدل على التعاهد وقلة الغفلة، والمحافظة : المواظبة على الأمر<sup>(١)</sup>.

ومن حيث الاستعمال المعاصر ذكر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن المحافظ هو: "التمسك بالتقاليد الاجتماعية والسياسية"<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر الحديث عن هذه المدرسة في المسائل الآتية :  
الأولى : مفهومها وشعارها، وجذورها.

الثانية : معالمها العامة.

الثالثة : أنواعها، سمات كل نوع.

الرابعة : العلاقة بالآخر.

الخامسة : تقويم إجمالي.

أولاً : مفهومها وشعارها وجذورها :

❖ فمن حيث المفهوم فإن هذه المدرسة تبدو في صورة المعلم الأثري الذي يحافظ على وجوده، ويقاوم عوامل الزمن والتعرية، فلا يكاد يتغير فيه شيء من معالمه وملامحه.

وهكذا بالنسبة لهذه المدرسة فهي محافظة على أصولها، ومنهجها، ولا تكاد تحدث شيئاً يذكر، حتى في مجال الوسائل، بحيث تبدو صلبة، لا تلين قناتها بسهولة

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٤/٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٢) المعجم الوسيط ص ١٨٥ مادة حفظ .

لأي من المتغيرات الحياتية.

❖ شعارها:

قد لا يظفر الباحث بشعار محدد الكلمات عند هذه المدرسة، بل عند كثير من أهل المبادئ والاتجاهات.

ولذا يمكننا بعد الاستقراء والتتبع - أن نستنتج إن صح لنا ذلك - شعاراً لهذه المدرسة يمكن صياغته بعبارة موجزة هي: "كل محدثة بدعة"<sup>(١)</sup>.

❖ وجذور هذه المدرسة يمكن تقسيمها قسمين:

الأول: الجذور الفكرية، التي تغوص في أعماق النصوص التشريعية، ولاسيما السنة النبوية التي قد لا تحظى بالعناية كما في هذه المدرسة.

الثاني: الجذور التاريخية، وتتمثل في مواقف السلف من المخالفين التي كان طابعها التصلب والتمنع الشديدين.

ويأتي في مقدمة هذه المواقف، موقف الإمام أحمد بن حنبل من فتنة القول بخلق القرآن، وابن تيمية من المخالفين، ومحمد بن عبد الوهاب من مظاهر الشرك والبدع.

ثانياً: معالم المدرسة العامة:

عند التأمل في حقيقة هذه المدرسة تبدو المعالم المميزة الآتية:

- ١ - تركيز المدرسة على توحيد الله جل وعز، ولاسيما توحيد العبادة أو ما يعرف بتوحيد الألوهية، وكذلك توحيد الأسماء والصفات.
- ٢ - محاربة مظاهر الشرك بكل أنواعه وأشكاله القولية والعملية.
- ٣ - التحذير من البدع أي كانت، كلية أم جزئية، وحقيقية أم إضافية.
- ٤ - العناية بالسنن والمستحبات.

(١) جزء من حديث أخرجه النسائي في سننه، كتاب العيدين الباب ٢٢.

- ٥ - التركيز على العلم الشرعي ، وعلوم الآلة ذات الصلة.
- ٦ - العناية بالفقه الفردي المتعلق بفقه العبادات والمعاملات ، دون عناية كافية بالفقر الجماعي كالعلوم السياسية والاقتصادية والقانونية (النظامية).
- ٧ - والوعي السياسي ضئيل ، لا يلقى عناية تذكر.
- ٨ - بطء الاستجابة لمتطلبات العصر ومتغيراته.

### ثالثاً: أنواعها:

عندما نقول: "المدرسة المحافظة" فذلك لا يقتضي بالضرورة أنها مدرسة واحدة ومتحدة في كل شيء ، بل العقل يقتضي التنوع ولو في بعض الفروع. ويمكننا تقسيم هذه المدرسة إلى قسمين:

الأول: ما يمكن تسميته بالنصوصية (الظاهرية).

الثاني: ما يمكن تسميته بالفقهية.

❖ فأمّا القسم الأول فتبدو ملاحظه بالاهتمام بالنصوص التشريعية من حيث توثيقها ، والوقوف عند ظواهرها ، علماً وعملاً.

وهذا القسم بدوره يتشعب إلى شعبتين:

الأولى: النصوصية العملية ، وهي التي تركز على النشاط العملي معتمدة على ظواهر النصوص .

والعمل هنا كثيرة صوره ، إلا أن أبرز هذه الصور تبدو في شيئين: الجهاد والدعوة.

والفئات الجهادية لا يمكن حصرها في سل واحد ، أو أنموذج واحد ، بل نماذجها متنوعة.

ومن نماذجها الحركات الجهادية المتوزعة في العالم ، سواء كان جهادها دفاعياً محضاً ، أو وقائياً ، أو أعمال شغب وبليلة ، أو غير ذلك ، مما قد يصنف من جملة الإرهاب .

ومن الخطأ البين ؛ اختزال هذه الحركات الجهادية في نموذج واحد ، كالقاعدة مثلاً ، أو الفئة الضالة التي اقتحمت المسجد الحرام غرة المحرم من عام ١٤٠٠ هـ . بل ثمة حركات جهادية تقوم بواجب الدفاع عن حقوقها المشروعة هي أشبه بحركات سبقتها ، مثل : حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودولة محمد بن سعود ، وحركات التحرير من الاستعمار في الجزائر وليبيا والشام وغيرها . ومثل هذه الأعمال الجهادية لا يعقل وصفها بأوصاف سلبية كالتمرد أو التخريب ، أو الإرهاب ، أو انتهاك حقوق الإنسان ، بل هو جهاد مشروع بلا جدال .

ولذا يكون من اللازم فرز الجهاد المشروع عن الأعمال القتالية العشوائية أو ذات الأغراض المشبوهة .

وأما الفئات الدعوية ، وهي التي يقوم عملها على الدعوة والإصلاح فقد تكون هي الأكثر والأبرز في الحراك السلفي ، ونحن هنا لا نقصد جميع العاملين في حقل الدعوة ممن ينتسب إلى السلفية ، بل نقصد نوعاً خاصاً منهم ، يأخذ سمات الجهاديين العامة ، التي تكتفى بدراسة ظواهر النصوص . وهذا النوع في تقديري يقبل التنوع أيضاً كالحركات الجهادية ، وذلك ما بين متشدد ومعتدل .

وإذا جاز لنا التمثيل هنا فقد تكون جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والسودان من أفضل الأمثلة للنموذج المعتدل .

لذا أرى أنه يمكن تقسيم تلك الفئات (الجهادية والدعوية) إلى قسمين :

**الأول : المتشدد ، وتبدو ملامحه في :**

١ - اختيار الأشد من الأقوال والأعمال .

٢ - تجهيل الآخرين والتقليل من شأنهم .

٣ - تضليل المجتمعات المسلمة .

٤- تصنيف الناس تصنيفاً فكرياً، يقوم على إساءة الظن والتشكيك .

٥- القراءة الانتقائية والمجتزأة.

٦- الميل إلى الروح الفدائية، وبذل النفس في سبيل تحقيق المراد.

الثاني : المعتدل : وهو الذي لا يتعسف في استعمال حقه ، بل يقوم بعمل الدعوة والجهاد في ضوء ظواهر النصوص ، مستلهماً قصص الماضين ، ومستحضراً تضحيات الدعاة والمجاهدين.

وفي كل الأحوال فإن أبرز سمات هذه المدرسة المحافظة (النصوصية) :

١- الابتعاد عن السلطة ، والسياسة ، والمناصب القيادية في أي من دول العالم الإسلامي.

٢- تقديم الحرب على السلم ، ولو نظرياً ، في العلاقات الدولية ، واعتبار السلم استثناء أو ضرورة تقدر بقدرها.

٣- تأييم القاعدين عن الجهاد والدعوة .

ذلك عن الشعبة الأولى ، وأما الشعبة الثانية فهي النصوصية العلمية ، التي تركز على الجانب النظري ، المتمثل بالنشاط العلمي ، تعلماً وتعليماً وتأليفاً ومحاضرة ومناظرة.

وتبدو ملامح هذه الشعبة في الاهتمام بالسنة النبوية تصحيحاً وتضعيفاً ، والتحذير من التقليد ، والتقليل من شأن التمدد الفقهي ، بل ربما رفعت شعار "اللا مذهبية".

وقد تكون مدرسة الشيخ ناصر الدين الألباني من أقرب الأمثلة لهذا.

بيد أن ثمة سمات أخرى قد تبدو للمتأمل في هذه الشعبة ، ومنها :

١- الاهتمام بالجرح والتعديل.

٢- تصنيف الناس وفق معايير خاصة .

٣- تجسير العلاقة بالسلطة السياسية ، ولاسيما أجهزة الأمن.

- ٤ - استعداد السلطة على الخصم.
  - ٥ - الابتعاد عن ممارسة السياسة ، أو المشاركة السياسية ألبتة.
  - ٦ - عدم اعتبار الجهاد القائم شرعياً في شتى بقاع العالم.
- إلا أنه عند التفحص يلحظ أن أتباع هذه المدرسة تتأرجح بين التشدد والاعتدال ، كما يتجاذبها الاجتهاد المحض وحضوض النفس.
- ❖ وأما المدرسة الفقهية وهي القسم الثاني من المدرسة المحافظة فأعنى بها :  
صاحبة الاهتمام بالعلم الشرعي بمفهومه العام ، ولا سيما الجانب الفقهي .  
ولقد تكون هذه المدرسة أشهر وأظهر من المدرسة السابقة (الظاهرية)  
وأشيعها أكثر.

وتبدو سمات هذه المدرسة في :

- ١ - العناية بالفقه العملي ، إضافة إلى الفقه الأكبر (التوحيد).
  - ٢ - الميل إلى التقليد ، وتحجيم نطاق الاجتهاد.
  - ٣ - التأقلم والتعايش مع الواقع السياسي والاجتماعي والعالمي ، مع عدم الخوض في تكييفه ، أو تفصيل أحكامه.
  - ٤ - المشاركة المحدودة في القضايا العامة أو العالمية.
- هذا بالإضافة إلى السمات السابقة المنوه عنها في (ثانياً) من هذا المبحث.  
وأمثلة هذه المدرسة لا تكاد تحصى .  
وأظن أن كثيراً من علماء هذه البلاد - المملكة العربية السعودية -  
يصلح مثلاً هنا .

رابعاً: علاقة المدرسة بالآخر:

بدا لنا في العرض السابق أن هذه المدرسة لا تمثل تياراً واحداً ، ولا فئة واحدة ، أو جماعة محددة ، بل هي ذات مناهج شتى وآراء متعددة ، قد يصل إلى حد التباين أحياناً ، كما يلحظ ذلك بين دعاة الاجتهاد ، ودعاة التقليد من المدرسة

ذاتها. أو بين الجهاديين ومخالفهم ممن لا يرى الجهاد سائغاً في هذا العصر، أو بين من يتواصل مع الأنظمة السياسية الحاكمة، ومن يقطع حبل التواصل، وهكذا.. لذا فإن رسم علاقة هذه المدرسة بالآخر يمكن وصفه بالرقم على الماء، أي أنه متعذر أو شبه متعذر.

وتعود الصعوبة هنا إلى أمرين جوهريين :

- ١ - تنوع هذه المدرسة - كما سبق التنويه .
- ٢ - أن هذا الآخر الوارد في العنوان، جنس يدخل فيه كل من عدا هذه المدرسة، بل قد يدخل فيه أجنحة أخرى من داخل المدرسة.
- غير أننا - وبرغم ذلك كله - سنبدل الجهد في محاولة توصيف هذه العلاقة بالقدر الممكن.

وفي ظني أن المدرسة بشكل عام يتجاذبها تياران :

- ١ - تيار متشدد ويمثله الجهاديون والتصنيفيون والاستعدائيون.
  - ٢ - تيار معتدل ، ويمثله الأكثرية الساحقة من أتباع المدرسة.
- فأما التيار المتشدد فإن علاقته بالآخر، يمكن وصفها بالعلاقة المتأزمة، أو علاقة شد الحبل.

وتبدو معالم هذه العلاقة<sup>(١)</sup> في الآتي :

- ١ - تضخيم مبدأ "الولاء والبراء" والمغالاة في تطبيقه .
- ٢ - قصر الولاء على الأتباع.
- ٣ - البراءة من جميع المخالفين بغض النظر عن أصل ديانتهم، أو انتظامهم في السلك "السلفي" أو عدم انتظامهم.
- ٤ - إساءة الظن بعموم الناس، حتى من المسلمين.

(١) ينظر في هذا: منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف، دكتور / ربيع المدخلي، ومدارك النظر في السياسة للشيخ عبد الملك الجزائري، والمصارعة للشيخ مقبل الوادعي.

٥- عدم التمييز بين المخالفات، العقيدية والعملية، أو الكبيرة والصغيرة، أو القطعية والظنية.

٦- رفع راية الجهاد في أي مكان، دون تفريق بين دولة مسلمة وغير مسلمة، أو دولة مسلمة ملتزمة بالإسلام ودولة أخرى غير ملتزمة. وهذا عند الجناح السلفي الجهادي خاصة.

٧- الحدة والغلظة في الإنكار وعدم التفكير في مآلات الأمور، وما قد يترتب على التصرف من مفاسد عظيمة وفساد عريض.

٨- الرد على المخالف بالأسلوب العنيف، ولو كان المخالف سلفياً.

٩- محاولة النيل من الخصم أيّاً كان بكل الوسائل الممكنة.

وهذا النوع من العلاقة الحادة لا بد أن ينتهي إلى طريق مسدود، ومن ثم تكون المواجهة بين الطرفين المختلفين التي تكون نهايتها التنازع والشقاق والفرقة، أو كيل الاتهامات والتكفير، بل قد تتطور إلى الحراب والقتال بين المسلمين. وأما التيار المعتدل<sup>(١)</sup>، فإن علاقته بالآخر ليست ذات طابع واحد بل تختلف بحسب هذا الآخر.

**فأما العلاقة بالمسلمين، فهي نسبية.**

فإن كانوا من أهل السنة والجماعة، فالعلاقة قائمة على الأخوة والمودة، إلا إذا كان هذا الآخر منحرفاً في بعض أفكاره، أو سلوكه، فإن العلاقة تكون مطبوعة بالجفاء أو التجاهل، أو الرد العنيف.

وإن كان المسلمون من أصحاب الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، أو كانوا من أصحاب الاتجاهات وأرباب الطرق فالعلاقة هنا تكاد تكون منقطعة، فلا تواصل، ولا حوار ولا مناظرة، ويشاطرهم ذلك الآخر الموقف نفسه

(١) ينظر في هذا: الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ بكر أبو زيد.



والعلاقة ذاتها، مما ينتج التباعد والبراءة التامة، بل السجلات والالتهامات التي لا تنقطع.

على أن هذا التيار قد يبدو عند بعض أفراد اعتدال أكثر ومرونة أكبر في التعامل مع المخالف، فلا يجد غضاضة في التعامل المرن معه وحسن صحبته<sup>(١)</sup>.

وأما العلاقة بغير المسلمين فيمكن بلورتها في الآتي :

- ١- البراءة منهم وعدم محبتهم أو معاشرتهم.
- ٢- مجاهرهم بالبراءة من دينهم.
- ٣- الإعلان العام بأن الدين الحق هو دين الإسلام، وأن ما عداه فهو باطل. والشعار دائماً قول الحق تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
- ٤- التعامل الحذر مع المستجدات والمتغيرات ذات النتائج الغربي.
- ٥- عدم التفاعل مع الحضارة الغربية في كل مكوناتها وأشكالها، لا سلباً ولا إيجاباً.

وهذا النوع من العلاقة بغير المسلمين بقدر ما فيه من فوائد كالاعتزاز بالشخصية الإسلامية وبالموروث الإسلامي، إلا أنه قد ينشأ عند المغالاة في التطبيق آثار عكسية على التابعين، أو السواد الأعظم من المجتمع، تتمثل بالمفاجآت، وعدم القدرة على التكيف مع المتغيرات، والازدواجية التي يعانيها الفرد والمجتمع جراء المتناقضات، أو الصراع بين القديم والجديد حتى يكون الزمن هو العامل الرئيس في التكيف.

وعندئذ تصدق المقولة المأثورة "الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم"<sup>(٢)</sup>.

(١) يراجع في هذا : الحكمة، للشيخ الدكتور/ ناصر بن سليمان العمر.

والحوار، أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، للشيخ أحمد الصويان.

(٢) هو من قول عمر بن الخطاب ؓ (ينظر: المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٤٤١، دار الكتب العالمية).

## خامساً: تقويم عام للمدرسة:

إن تقويم مدرسة تضم بين حيطانها ألواناً شتى من الأساتذة والمربين والموجهين والطلاب يكتنفه كثير من الصعوبات.

وهذه المدرسة السلفية المحافظة قد لحظنا أنها تضم أصنافاً شتى من الشيوخ والطلاب، والدعاة والمدعوين فهناك المحدث والفقيه، وهناك المجتهد والمقلد، وهناك العالم والمجاهد، ثم هؤلاء ما بين متشدد ومعتدل.

وأزعم أن مثل ذلك ليس شراً محضاً، بل ليس شره أكثر من خيره.

بل إن الخيرية هي الغالبة فيما يبدو، سواء من حيث الأفكار، أو من حيث الأشخاص.

فأما الأفكار فهي مقتبسة من النصوص مباشرة، أو من التطبيقات التاريخية (سير الصالحين).

نعم قد يكون سوء فهم أو مبالغة في التطبيق، أو خطأ في تخريج المناط وتحقيقه<sup>(١)</sup>، أو تكييف المسألة<sup>(٢)</sup> أو ما أشبه ذلك، وفي مثل هذه الحالات تكون أخطاء فردية يحاسب عليها الفرد وفق الإجراءات الشرعية والنظامية، ولا يجوز أن ينسب ذلك إلى أصول المدرسة ومناهجها، أو أن تتهم بما ليس فيها.

وأما من حيث الأشخاص؛ فالخيرية الغالبة هنا هي من حيث المجموع لا الجميع، أي أن أكثر من يمثل التيار السلفي المحافظ يميل إلى الاعتدال المقبول،

(١) تخريج المناط: هو استنباط العلة غير المنصوص عليها، أو الجمع عليها، بأي طريق من طرق التعرف عليها. وتحقيق المناط: هو النظر والبحث عن مدى وجود علة الأصل في الفرع (ينظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار ٢٠٠/٤ تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد).

(٢) قد يحصل أحياناً المبالغة في تكييف المسألة، فتوضع في قائمة المعتقدات، مع أنها من المسائل العملية، ومن ذلك المعاملة مع غير المسلم في المجالات المدنية، وفي العلاقات الدولية، بحيث لا يرد على الذهن إلا قاعدة (البراء والعداء).

ويرفض التطرف والغلو في أبرز صورهما.

وقد يوجد لدى الجناح المعتدل صور من التشدد في الرأي، وصور من الجفاء في المعاملة، وصور من المبالغة في سد الذرائع، إلا أن ذلك في نظري لا يقوم حجة في رد الحق، أو إلقاء التهم الجزاف، أو التهويل في تصوير الأخطاء.

بلى، يوجد جوانب سلبية في مجال العلاقة والتعامل مع الآخر، قد تصل عند المتشددین والغلاة إلى درجة بالغة السوء.

وتلك ندوب في وجه السلفية الحقة، يجدر بأصحابها أن يراجعوا أنفسهم فيها، ويأخذوا بمنهج السلف الصالح.

## المبحث الثاني المدرسة التجديدية

مدخل : التجديد في الإسلام مطلب شرعي كما هو كون قدري كما جاء في الحديث : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)<sup>(١)</sup>. قال الشيخ ملا علي قاري : "والأظهر عندي - والله أعلم - أن المراد بمن يجدد : ليس شخصاً واحداً ، بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية ويكون سبباً لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله ، ولا شك أن هذا التجديد أمر إضافي"<sup>(٢)</sup>.

والتجديد في أصله اللغوي مصدر جدد ، بتضعيف الدال الأولى من الجدة بكسر الجيم وتضعيف الدال وهي : نقيض البلى.

يقال : جد الثوب والشيء يجد بالكسر : صار جديداً وهو نقيض الخلق<sup>(٣)</sup>. أما المراد بالتجديد في الحديث فالظاهر أنه : "إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة ، والأمر بمقتضاهما"<sup>(٤)</sup>.

وستكون محاور البحث في هذه المدرسة وفق الآتي :

١ - مفهومها وشعارها وجذورها.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه برقم ٤٢٩١ .

قال ملا علي قاري : "وأخرجه الطبراني في الأوسط وسنده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم" [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٢/١ مكتبة إمدادية.

(٢) مرقاة المفاتيح ٣٠٢/١ مرجع سابق.

(٣) لسان العرب حرف الدال فصل الجيم ١١١/٣ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب شمس الحق آبادي ٣٨٦/١١ .

٢ - المعالم العامة للمدرسة .

٣ - أنواع المدرسة التجديدية.

٤ - علاقة المدرسة بالآخر.

٥ - تقويم عام.

أولاً: مفهوم المدرسة التجديدية وشعارها وجذورها:

ماذا نريد بالتجديد هنا؟

الحديث عن تجديد الدين واسع الأبواب ، كثير التشعب ، نظراً إلى كثرة الباحثين والخائضين فيه ، ويمكن حصرهم في ثلاثة اتجاهات :

الأول : دعاة التغريب ، وهؤلاء يفسرون التجديد بالتغيير أي تغيير الأصول والمناهج وفق مقتضيات العصر .

الثاني : دعاة التنوير ، وهؤلاء يفسرون التجديد بالتطوير أي تطوير الأحكام والتشريعات بما يناسب العصر .

الثالث : دعاة الإصلاح : وهؤلاء يفسرون التجديد بأمرين :

أحدهما : إحياء ما اندرس من الدين الصحيح .

وهو ما يتفق مع التفسير للتجديد آنف الذكر .

ثانيهما : المرونة في التعاطي مع مستجدات العصر ونوازلها بما يتفق مع السياسة الشرعية ، وهو ما يمكن التعبير عنه بفقهاء المتغيرات ، أو فقه المقاصد والموازنات .

وهذا الاتجاه الأخير (الثالث) لمفهوم التجديد هو مرادنا في هذا الطرح .

أما الاتجاه الأول فهو مسخ للديانات كلها ، كما هو سخرية برب الأرباب ، ومشروع الشرائع .

وأما الاتجاه الثاني فهو موقف متخاذل ومداهن وهو داخل في قول الحق

تعالى : ﴿ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَذُؤُوا لَوْ نُذِهْنُ فَيَذْهَبُونَ ۝٩ ﴾ [القلم : ٨ - ٩] .

قال الحسن البصري معناها: "ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم": "والإدهان كما يقول القرطبي: اللين والمصانعة وقيل: مجاملة العدو وممايلته، وقيل: المقاربة في الكلام والتلين"<sup>(١)</sup>.

وأعتقد أن ما يهدف إليه التنويريون هو لا يخرج عن المصانعة للعدو وممايلته وممايلته ومقاربته بالكلام.

أما شعار هذه المدرسة فيمكن استنتاجه من نتاج رواد هذه المدرسة. فيجوز أن يكون الشعار هو مثل هذه العبارات:

١ - فهم النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية<sup>(٢)</sup>.

٢ - أو أعمال المصلحة وفق الثوابت والقواعد الكلية.

أما جذور المدرسة فهي نوعان:

الأول: الجذور الفكرية، المتمثلة بالنصوص التشريعية، والقواعد والأصول الكلية والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، والتي عني بها كثير من علماء الإسلام مثل العز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي.

الثاني: الجذور التاريخية، المتمثلة بالنماذج الإصلاحية التي انطلقت من القواعد والأصول نفسها.

ومن هنا جهود الإمام الشافعي في تأسيس أصول الفقه، وجهود الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم التي انطلقت من فهم شمولي للإسلام وكذا جهود الإمام الشاطبي في تأسيس علم المقاصد.

وهذه المدرسة لا شك أنها استلهمت مبادئها من تلك الجذور وما أشبهها، وذلك ما جعلها - وهي تنطلق من رحم "السلفية" - تجمع بين منهجين متوازيين. أحدهما: المنهج الكلي المقاصدي.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٢١، تحقيق الدكتور عبدالله التركي.

(٢) ينظر: السياسة الشرعية، للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٦.

الثاني: المنهج الجزئي "النصي".

ثانياً: معالم المدرسة العامة:

إن الراصد لهذه المدرسة، المتأمل في فكرها ومواقفها يمكن الوقوف على المعالم العامة الآتية:

- ١- فتح باب الاجتهاد، والدعوة إليه.
  - ٢- عدم الالتزام بمذهب فقهي معين.
  - ٣- إبراز مقاصد الشريعة، وحكمها وأسرارها.
  - ٤- التفاعل مع المتغيرات والمستجدات.
- وسياتي مزيد بيان في الفقرة التالية.

ثالثاً: أنواع المدرسة التجديدية:

هل لهذه المدرسة أنواع؟

سؤال قد لا يرد على ذهن ابتداء، نظراً إلى أن المدرسة واضحة الحدود والمعالم فكيف تتنوع؟

والحق أن التنوع يرد بسهولة، وبخاصة حينما نفترض أن التجديد يدخل مجالات كثيرة متعددة نظرية وعملية.

ومن النظرية تجديد العلوم الشرعية، أو أساليب التفكير.

ومن العملية الإصلاح في جانب العبادات، وفي جوانب المعاملات المالية

والسياسية والاجتماعية، ونحوها.

من هنا أرى أنه يمكن تقسيم المدرسة قسمين:

الأول: التجديد الرأسي.

الثاني: التجديد الأفقي.

وأعني بالرأسي، ما يكون تجديده في العمق ثم يستمر في البناء إلى الأعلى.

أما الأفقي فهو الذي يتسع تجديده أفقياً، في شتى الاتجاهات.

ويمكن استشراف معالم المدرسة الرأسية في الأمور الآتية :

- ١- العناية بالعلم الشرعي في كافة فروعِهِ.
  - ٢- الجمع بين مدرسة الفقه (الرأي) ومدرسة الحديث.
  - ٣- الاجتهاد في إطار المذهب الفقهي.
  - ٤- عدم التخرج في مناقشة القضايا المستجدة ، وفقاً لمعطيات النصوص ، ومقتضيات المصلحة العامة.
  - ٥- والخطاب يعتمد على النصوص والآثار ، مع شيء من الأدلة العقلية.
  - ٦- نطاق الخطاب إسلامي<sup>(١)</sup> ، من حيث المكان والأشخاص.
- ولعل من النماذج الصالحة لهذه المدرسة :

- ١- الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ) الذي تأثر بمدرسة ابن تيمية ، وناقش قضايا عصره بأفق واسع ، ونظرة ثاقبة.
- ٢- الشيخ أحمد شاكر (ت ١٣٧٧هـ) ، الذي خدم علمي التفسير والحديث ، وحقق كثيراً من كتب السلف بمنهجية دقيقة.
- ٣- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) الذي كان معروفاً بغزارة العلم ، وسعة الأفق ، وتصدى لقضايا الأمة المسلمة ومشكلاتها بمواقفه وفتاويه المعتدلة.
- ٤- الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢٣هـ) الأصولي الفقيه المفسر ، صاحب المؤلفات والتحقيقات العلمية الرصينة.
- ٥- الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية وخطيب المسجد الحرام ، ذو الثقافة الواسعة ، والمنهجية المتزنة.

(١) أي أنه موجه إلى المسلمين.



أما المدرسة الأفقية فإن من أهم ملامحها:

- ١- توسيع دائرة الاجتهاد.
  - ٢- عدم الالتزام بمذهب فقهي معين.
  - ٣- التركيز على مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها.
  - ٤- النقل والعقل هما عمدة الخطاب.
  - ٥- ونطاق الخطاب إسلامي عالمي، من حيث المكان والأشخاص.
  - ٦- الانفتاح على الآخر، حواراً واستفادة ومقارنة.
  - ٧- التفاعل مع المتغيرات العالمية.
  - ٨- المبادرة في عرض الآراء والاطروحات.
  - ٩- حض الأمناء على المشاركة السياسية.
  - ١٠- توسيع مجال عمل المرأة.
  - ١١- تغليب مبدأ التيسير في جملة المسائل الخلافية.
- وهذه الملامح تبرز هذه المدرسة بصورة مقبولة الشكل والمضمون من لدن المثقفين بعامة، مسلمين وغير مسلمين، الذين قد لا يجدون في المدارس الإسلامية المحافظة ما يشبع نهمتهم، أو يروى غلتهم، أو يشفى علتهم.
- ومن يصلح للتمثيل في هذا المقام من وجهة نظري:
- ١- الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ). قال عنه الزركلي: "أصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية"<sup>(١)</sup> وقد خدم كتب السلف.
  - ٢- الدكتور/ يوسف القرضاوي، العالم والداعية المعروف، والذي يعد من أبرز علماء أهل السنة في العهد الحاضر وله عشرات المؤلفات<sup>(٢)</sup>.

(١) الأعلام ١٢٦/٦.

(٢) ينظر له مثلاً: فتاوى معاصرة، والفقہ الإسلامي بين الأصالة والتجديد، في فقہ الأولويات.

- ٣- الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، والمعروف بجهوده العلمية ، وبالأراء المعتدلة<sup>(١)</sup> .
- ٤- الدكتور / سلمان بن فهد العودة ، العالم والمفكر المعروف<sup>(٢)</sup> .
- ولا شك أن الأسماء هنا تبدأ ولا تنتهي ، بل يوجد جماعات وجمعيات إسلامية في أقطار كثيرة تنتهج هذا المنهج .
- ولكن المقصود هنا التمثيل لا الحصر .
- رابعاً : علاقة المدرسة بالآخر :

برغم التنوع في هذه المدرسة ، فإن المرونة في العلاقة بالآخر سمة عامة فيها . ولكي تبدو هذه العلاقة جلية ، ينبغي علينا التفصيل .

فأما بالنسبة للمدرسة التجديدية (الرأسية) فعلاقاتها بالغير هي على النحو الآتي :

- ١- أما العلاقة بأهل السنة من المسلمين ، فهي متينة ، لا يشوبها غش ، إلا عند وجود أخطاء فاحشة فيتعين عندهم حينئذ الرد والتصحيح ، مع التركيز على الفكرة دون صاحبها .
- ٢- وأما العلاقة بالمخالفين فكرياً وعقدياً ، سواء من أصحاب الفرق الإسلامية أو الاتجاهات المنحرفة الأخرى ، فإنها غير مبتورة ، ولكنها متحفظة ، وقد يعتربها الجفاء أو الغلظة أحياناً ، بحسب الملابس .
- ٣- وأما العلاقة بغير المسلمين فتقوم على احترام العهود والمواثيق ، وعلى حسن الصحبة ، ولكن بدون مودة ، والجهاد ماض إلى يوم

(١) ينظر مثلاً كتابه : (الفكر الأصولي - دراسة تحليلية نقدية) .

(٢) ينظر كتابه : (ولا يزالون مختلفين) وكتابته الآخر : (الأمة الواحدة) .

القيامة، ولكن بحسب القدرة.

٤ - والعلاقة بالسلطة تقوم على الإعانة والنصرة والسمع والطاعة<sup>(١)</sup>،  
مع عدم استشراف للمناصب.

وأما بالنسبة للمدرسة التجديدية (الأفقية) فعلاقتها تبدو وفق التوصيف  
الآتي:

أ - أما أهل السنة فالعلاقة بهم مطبوعة بالمودة والأخوة في جملة الأمر.  
ب - وأما غيرهم من المسلمين من شتى الفرق والاتجاهات فالعلاقة بهم  
لا تختلف عن سابقهم، إلا إذا أعلن المخالف بدعته وكانت بدعة كلية، فهنا يكون  
التحفظ في العلاقة الذي قد يصل إلى حد الجفاء.  
ولذا تركز المدرسة على تقوية أواصر الأخوة الإسلامية، وجمع الكلمة  
ووحدة الأمة.

ج - وأما غير المسلمين من غير المحاربين، فلهم حق الأخوة والمودة أيضاً،  
والعلاقة معهم مطبوعة بالسلم والأمن العام، والحرب لا تكون إلا دفعاً للعدوان.  
والشدة في التعامل خاصة بالمحاربين.

ومن هنا لا مندوحة للمسلمين عن الانضمام للتنظيم الدولي والقبول  
بالسلام العالمي.

خامساً: تقييم عام للمدرسة:

إن تقدير مثل هذه المدرسة وتقييم منهجها ونشاطها، يتطلب الإنصاف  
والواقعية.

وهذا - فيما أظن - يتحقق بالفصل بين جناحي المدرسة: الرأسي،

(١) ينظر في هذه المسألة: تعليقات الشيخ ابن عثيمين على كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية.

والأفقي.

فأما بالنسبة للمدرسة التجديدية (الرأسية) ؛ فإنها بحق سلكت منهجاً معتدلاً  
جمع بين الثبات على الأصول، والمرونة في الفروع القابلة للتغير.

ومن معالم الثبات على الأصول :

- ١ - التركيز على قضايا الاعتقاد والتعبد.
- ٢ - محاربة البدع بكل أشكالها.
- ٣ - استحضار النصوص الشرعية عند المناقشات والمحاورات وإصدار الأحكام.

٤ - عدم تأويل النصوص الصحيحة، وإن كانت في درجة الآحاد.  
ومن معالم المرونة :

- ١ - عرض المنتج الحضاري على معايير الشريعة الإسلامية، لتمييز ما يناسب أخذه عما لا يناسب.
- ٢ - مراعاة ظروف الأمة المسلمة ومدى إمكاناتها وقدراتها في مواجهة أعدائها، فلا يطلب منها ما لا طاقة لها به.
- ٣ - والتعامل مع الأنظمة السياسية الحاكمة ينبغي أن يكون مطبوعاً بالحكمة واللين، لا العنف والشدة، حتى لو كانت الأنظمة علمانية.
- ٤ - دعوة المصلحين إلى المشاركة السياسية.

وأما بالنسبة للمدرسة (الأفقية) فإنها - بحق - ذات أفق وعطن  
واسعين: فكراً ومنهجاً وعملاً وتعاملاً.

فهي لا تجد حرجاً في إعمال المقاصد عند كل ضائقة ونازلة، كما لا تتردد  
في الأخذ بمبدأ التيسير عند حصول الخلاف أو التعارض. وهي مع هذا وذاك لا  
تفرط بالمبادئ السلفية.

أي أنها تأخذ بالمبادئ العامة للسلفية فكراً ومنهجاً، دون الالتزام بالجزئيات

أو الآليات والوسائل.

وهي بهذه المنهجية تلتقي مع طوائف إسلامية كثيرة، بدون مواجهة  
تصادمية، الأمر الذي يحولها أن تتبوأ في قلوب كثير من الناس ومشاعرهم مبوأ  
صدق، قلما ينافسها فيه غيرها.

## المبحث الثالث

## دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعاصرة

مدخل : مولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة سنة ١١١٥ هـ، ونشأ وترعرع في بيت أبيه وتعلم على يديه ، فحفظ القرآن الكريم ثم بدأت رحلة الطلب في ريعان الشباب فحج وزار المدينة وبقي بها متعلماً فتتلمذ على يد الشيخين عبدالله بن إبراهيم بن سيف (ت ١١٤٠ هـ) ومحمد حياة السندي (ت ١١٦٣ هـ) اللذين تركا أثراً إيجابياً في نفسه ، ثم واصل رحلة الطلب إلى البصرة ، والتقى الشيخ محمد المجموعي ، ثم إلى الإحساء وجلس إلى عالمها عبدالله بن محمد بن عبداللطيف ، ثم قفل راجعاً إلى بلده.

وبدأ في التأليف ، مع قيامه بالحسبة ، وبعد وفاة والده تفرد بالتعليم والاحتساب ، لكنه لم يجد في القرى المجاورة ذلك التجاوب الذي كان يؤمله فرحل إلى الدرعية ١١٥٧ هـ وبايع الأمير محمد بن سعود على إقامة الشرع ونشر الدعوة. ومن ذلك التاريخ بدأت الدعوة عملها المنظم ، داخل الدرعية وخارجها ، فتعززت الدولة والدعوة ، وانتشرت الدعوة في آفاق الجزيرة العربية بسرعة ، ووقف منها العلماء بين مؤيد ومعارض ومحيد.

وبقى - كما يقول المؤرخ حسين بن غنام : "يدعو إلى سبيل ربه بالحجة الواضحة وبالموعظة الحسنة ، فلم يبادر أحداً بالكفير ، ولم يبدأ أحداً بالعدوان ، بل توقف عن كل ذلك تورعاً منه وأملاً في أن يهدي الله الضالين إلى أن نهضوا عليه جميعهم بالعدوان وصاحوا في جميع البلاد بتكفيره هو وجماعته وأباحوا دماءهم... فأمر الشيخ حينئذ جماعته بالجهاد"<sup>(١)</sup>.

(١) روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ٨٣/١ .

ولئن سأل سائل ، وما سبب هذه المعاداة التي ألجأت الشيخ ودولة ابن سعود إلى الجهاد ، قيل : هو ما جعل الشيخ ينهض بالدعوة من أجله منذ نعومة أظفاره ، وهو الظروف الدينية الحالكة التي ظهر فيها الشيخ ، والتي تبدو فيها جملة الأوضاع الفكرية والعلمية والسياسية في أسوأ أحوالها ، حيث مظاهر الشرك ، والبدع والخرافات والتخلف العلمي ، والتفرق السياسي .

ونحن إذ نتحدث عن هذه الدعوة لن نتعرض لتاريخها ونشأتها وتطورها ، بل نقصر الحديث عنها في العهد الحاضر ، لنربط بينها وبين المدارس السلفية المعاصرة . وذلك وفق النقاط الآتية :

١ - دعوة ابن عبد الوهاب والسلفية .

٢ - سمات الدعوة المعاصرة .

٣ - أنواعها .

٤ - العلاقة بالآخر .

٥ - تقويمها .

**أولاً : دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب والسلفية :**

ربما يبدو العنوان غريباً عند بعض القراء ، كما قد يبدو بديهياً عند آخرين ، ومنشأ الغرابة ، والبدئية واحد ، هو أن من البدهيات أن هذه الدعوة امتداد للسلفية ، بل قد لا يفهم البعض السلفية إلا من خلال هذه الدعوة .

ولكن هذا الفهم الأخير ليس إلا مبالغة خاطئة ، فقد بان لذي عينين أن السلفية في مفهومها الصحيح هي ما كان عليه الصحابة والتابعون ، وما هذه الدعوة إلا أنموذج لإحياء هذا المنهج .

والذي يهمنا في هذه الفقرة بيان العلاقة بين الدعوة والسلفية .

فالحقيقة أن هذه الدعوة نسخة أصلية من نسخ السلفية المتعددة ، والتي يمكن

أن يذكر منها هنا على سبيل المثال ، دعوات : الأمير الصنعاني والشوكان في

اليمن ، وصديق حسن خان في الهند ، وعثمان بن فودي في نيجيريا ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

والفروق بينها ، أن دعوة ابن عبد الوهاب وعثمان بن فودي هي دعوات جماعية ، تحركتا في ظل دولة في حين أن الأخريات كانت دعوات فردية. ثانياً : سمات الدعوة المعاصرة :

إذا كان العرض السابق في المبحثين الأولين قد استطاع أن يبرز سمات السلفية المعاصرة ومعالمها البارزة ، فإن ذلك سيختصر لنا الطريق إلى معرفة سمات دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب المعاصرة ، لأمرين :

- ١ - أن دعوة الشيخ هي إحدى نسخ السلفية. كما مر قبل قليل.
- ٢ - أن أكثر الذين يمثلون المدارس السلفية التي سبق الحديث عنها هم من مدرسة ابن عبد الوهاب.

وسمات هذه المدرسة المعاصرة يمكن وضعها في مجالين : فكري ، ومنهجي.

**أما السمات الفكرية فمن أظهرها :**

- ١ - العناية بتوحيد العبادة.
- ٢ - الولاء والبراء من مقتضيات كلمة التوحيد.
- ٣ - تعديل جملة الصحابة رضي الله عنهم ، والتوبة بفضائلهم وفضائل سائر أئمة العلم.
- ٤ - نبذ البدع والخرافة.
- ٥ - الجهاد ماض إلى يوم القيامة ، مع أنه لا يكاد يتوافر جهاد صحيح في العصر الحاضر في نظر هذه المدرسة.
- ٦ - التوكيد المستمر على طاعة أولي الأمر في المعروف.
- ٧ - تفويض أولي الأمر في التنظيمات والتراتيب الإدارية.
- ٨ - التحذير من كافة أساليب المعارضة للسلطة.



- ٩- رفض القوانين الوضعية.
- ١٠- عدم الخوض في القضايا السياسية الشائكة.
- ١١- التفاعل الحذر والمتنوع مع القضايا المستجدة.
- وأما السمات المنهجية فمن أظهرها :
  - ١- العناية بعقيدة السلف. ونقد عقيدة الخلف.
  - ٢- ترجيح التفسير الأثري للقرآن العظيم.
  - ٣- ترجيح مذهب الإمام أحمد في مجال العقيدة والفقه.
  - ٤- الميل إلى مدرسة ابن تيمية وابن القيم.
  - ٥- العناية بالعلم الشرعي ، وعلوم الآلة التي تخدمه.
  - ٦- نشر فكر الشيخ ابن عبد الوهاب في المجال العقدي.
  - ٧- العناية بالفقه الجزئي الفردي.
- ولقد يلحظ بعض التداخل بين فقرات المجموعة الأولى والمجموعة الثانية ، نظراً لتداخل الفكر والمنهج ، والفصل بينهما غاية زيادة الإيضاح ليس إلا.
- ثالثاً: أنواعها :

مع التسليم بأن التنوع يكاد تظهر علاماته في كل شخص ، إلا أن مدرسة كمدرسة الشيخ ابن عبد الوهاب قد لا يبدو فيها التنوع بوضوح.

فهل لهذه المدرسة المعاصرة أنواع؟

لعل التنوع هنا ينطلق من الآليات.

فحينما ننظر في واقع هذه المدرسة في إطار نطاق مكان محدد كالمملكة العربية السعودية ، تظهر لنا هذه المدرسة من خلال قناتين : إحداهما : القناة الرسمية ، والثانية : القناة غير الرسمية.

ويقصد بالرسمية : الأعمال التي تشرف عليها الدولة مباشرة ، أو يصدر عنها بصفة رسمية.

وأما غير الرسمية : فهي تلك الأعمال والآراء التي لا تمثل الدولة.

### القناة الرسمية :

معروف أن الدولة السعودية منذ أول عهدا قامت على فكر الشيخ ابن عبد الوهاب ، واستمر ذلك حتى عهد الدولة السعودية الثالثة التي جدد بناءها الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وبرغم أن هذه الدولة في عهدا الجديد جاءت وفق مواصفات الدولة الحديثة ، إلا أنها لم تنفك عن مبادئ دعوة ابن عبد الوهاب بل هي في حقيقة أمرها امتداد فكري وتاريخي للدولة السعودية الأولى والثانية.

والفارق الجوهرى بين القديم والجديد هو آليات التطبيق وأساليبه وفق متطلبات المرحلة ، مع شيء من تغير الأحكام المستندة إلى المصلحة أو العرف. ومن دلائل انتماء هذه الدولة الحديثة الحقيقي للإسلام أولاً ، ثم لفكر ابن عبد الوهاب ثانياً ، وأنها دولة فكرية وليست علمانية :

- ١- تصريحات الملك عبدالعزيز في جميع المناسبات والخطابات بذلك.
- ٢- تأكيده على أهمية قيام الشعائر الإسلامية وعدم التفريط فيها كالصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣- عدم التسامح مع ما يخل بأصول الدين وقواعده.
- ٤- محاربة البدع والخرافات.
- ٥- قيام القضاء على الشريعة الإسلامية ، وإسناده إلى أهل العلم المتأهلين له.
- ٦- تنفيذ الحدود الشرعية.
- ٧- تشجيع العلم الشرعي ، ونشر علوم السلف.
- ٨- السلوك الشخصى للملك عبدالعزيز ، المطبوع بالديانة وحسن السمات ، كما يشهد بذلك معاصروه.

والمملكة العربية السعودية الحاضرة هي - بلا شك - امتداد لدولة المؤسس عبدالعزيز.

فهي إذاً دولة فكرية، إسلامية.

والذي نريده هنا أن ما تقوم به الدولة بكل مؤسساتها وبخاصة المؤسسات ذات الطابع الشرعي كالقضاء، والشؤون الإسلامية، والحج، والترية، والحسبة، والشورى والفتوى، ونحوها، فكل ذلك ينطلق من فلسفة إسلامية، متأثرة إلى حد بعيد بمبادئ دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب.

وأهم السمات لهذه القناة:

- ١ - تنظيم العمل وتقنيته، بحيث يسير في منظومة واحدة مهما تنوع أو اختلفت مصادره وجهاته.
- ٢ - مراعاة النظام العام للدولة القائم على شريعة الله كما أكد على ذلك النظام الأساسي للحكم، وعدم السماح بالإخلال به.
- ٣ - مراعاة الآداب العامة والاجتماعية، وعدم السماح بممارسة الأخلاق الشاذة.
- ٤ - مراعاة التنظيم الدولي والمواثيق والأعراف الدولية.
- ٥ - تنظيم الفتوى في القضايا العامة وحصرها في هيئة كبار العلماء، أو ما تفرع منها كاللجنة الدائمة للإفتاء.
- ٦ - كل مسؤول في الدولة، أياً كانت وظيفته، تنفيذية أو علمية أو استشارية أو فنية، فعليه ألا يخرج من فلك المنظومة الرسمية. فإن فعل كان تحت طائلة المساءلة.

القناة غير الرسمية :

والمراد بها عموم الأفراد والعلماء، والجمعيات، والهيئات، ومؤسسات

المجتمع المدني<sup>(١)</sup> الأخرى، فإن مثل هؤلاء يعملون باستقلال عن الدولة، وفق قناعاتهم، وبما لا يخل بالنظام العام للدولة وذلك لأنهم مكلفون بالعمل بما يحقق مصالحهم الخاصة، وما يحقق المصالح العامة.

والمأمل في خطاب الشارع الحكيم يحده عاماً لجميع المسلمين: ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبْءُ ءَامِنُوا﴾، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

بل يكون الخطاب أحياناً عاماً للبشرية: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، ﴿يَبْقَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾، الأمر الذي يؤكد أن التكليف موجه إلى كل إنسان يعقل الخطاب، وأن المسؤولية هي في الأصل فردية، ثم هي في نهايتها مسؤولية اجتماعية، لكون الإنسان مدني الطبع.

وبناء على ذلك يكون لدينا فئات كثيرة من علماء ومتعلمين ومتقنين وأدباء ورجال أعمال وغيرهم ممن ينتسب لمدرسة ابن عبد الوهاب وينهل من معينها، وتصدر عنهم آراء ومواقف وأعمال متأثرة بالمدرسة.

فما سمات هذه القناة إذا؟ يمكن إجمالها في:

- ١- تنوع الأداء بتنوع الاهتمام، وبحسب الاجتهاد.
- ٢- تعدد الآراء وفق القناعات.
- ٣- اختلاف الفتوى في مسائل الخلاف والنزاع.
- ٤- اتساع مساحة التعاون والتنسيق بين الشخصيات والهيئات العلمية والفكرية والأدبية في المملكة من جهة، وفي غيرها من جهة أخرى.

(١) (المجتمع المدني) مصطلح حديث، وقد يختلف الناس في مفهومه، فقد يعبر به عما يكون مستقلاً عن الدين، أو عن الأخلاق، أو عن النظام السياسي (الدولة). ينظر: قاموس الفكر السياسي لمجموعة من المختصين، ترجمة أنطون حمصي ٢٣١/٢. والذي أعنيه في هذا البحث هو المفهوم الأخير، الذي يراد به: النشاط غيرا الرسمي.

## رابعاً: العلاقة بالآخر:

نظراً لظروف نشأة الشيخ ابن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر المتمثلة في صعوبة التواصل بين الأمم والدول آنذاك، فقد كانت علاقة الدولة السعودية - ممثلة بالدعوة - تكاد أن تكون قاصرة على المناطق والدويلات المجاورة، سواء أكانت هذه العلاقة سياسية أم دينية أم علمية، أم غيرهما.

وقد نجح ذلك التواصل في إيجاد نهضة علمية واجتماعية وسياسية وتجارية، ولا سيما في عهد الشيخ نفسه الذي توفي سنة ١٢٠٦هـ.

وفي عهد الدولة السعودية الثانية وحتى فتح الرياض سنة ١٣١٩هـ لم تكن الأحوال مستقرة، ولذلك كانت علاقة الدعوة بغيرها مطبوعة بالتوتر وتبادل الاتهامات بين الخصوم.

فإذا ما انتقلنا إلى العهد الجديد أو عهد الدولة الحديثة أو المملكة العربية السعودية، فستبدو لنا العلاقة بين هذه الدولة وبين العالم الآخر، ومنه العالم العربي والإسلامي في صورة أخرى مختلفة عن العهود السابقة، في أي من المجالات السياسية، والثقافية، والعلمية، والاجتماعية والدعوية وغيرها.

ويمكننا إجمال معالم هذه العلاقة في النقاط التالية:

### ١ - من الناحية السياسية:

فقد أصبحت المملكة العربية السعودية جزءاً من المنظومة الدولية وعضواً فاعلاً في جامعة الدول العربية، وفي هيئة الأمم المتحدة، وارتبطت مع معظم الدول باتفاقيات ومواثيق.

### ٢ - من الناحية الثقافية والعلمية:

ارتبطت مع كثير من الدول بعلاقات ثقافية في مجالات عديدة: تربية، وآثار ومتاحف ومخطوطات ومطبوعات، وغيرها هذا فضلاً عن الابتعاث وقبول المنح، وتبادل الخبرات في المجالات العلمية.

## ٣- من الناحية الاجتماعية :

وجد التواصل بين هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى ، عن طريق السفر والهجرة والتجارة ورحلات الاستكشاف ، والسياحة ، بل وجد التزاوج وتداخل العوائل والأسر كما يلحظ في دول شبه الجزيرة العربية وغيرها. وكان لوجود الحرمين الشريفين وقصدهما من قبل عموم المسلمين وارتباطهم الروحي بهما ، كان لذلك تأثير مباشر في تجسير العلاقة الاجتماعية وتقوية أواصر الأخوة.

## ٤ - من الناحية التجارية :

دخلت المملكة في معاهدات تجارية واسعة النطاق. وتوثقت الصلات التجارية بين التجار في المملكة وبين تجار العالم. ٥ - من الناحية الدعوية :

نشطت كل الجهات ذات الاختصاص ، مثل الشؤون الإسلامية ، ورابطة العالم الإسلامي ، والوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية في بث الوعي الإسلامي والفتاوى والأحكام ونشرها في محيط المجتمعات المسلمة ، والمجتمع الإنساني بعامته.

هذا إلى تقديم الدعم والمساندة للدعاة والمراكز الإسلامية .

على أنه يلحظ هنا أن موضوع الدعوة ربما اختلف عنه فيما قبل عهد الملك عبدالعزيز.

فإذا كان موضوع الدعوة في تلك العهود هو أصول الدين الإسلامي ، وفق فكر دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب بالإضافة إلى بيان الشبهات ورد الاتهامات . فإن موضوع الدعوة في العهد الجديد لم يعد مقتصرًا على ذلك الفكر ، بل قد أصبح موضوع الدعوة "حقائق الدين وأصوله ، وأحكامه" وفقاً للاطروحات السلفية على مر العصور.

ولا أظن أن هذا المنهج الدعوي يخص القناة الرسمية، فقط، أو القناة غير الرسمية، بل ينطبق عليهما معاً. بحيث أصبح الخطاب مطلقاً وعماماً. مطلق، غير مقيد بمدرسة خاصة، وعام في كل مجالات الشريعة، العقديّة، والعملية، والخلقية، والمعاملات والعلاقات وغيرها.

ولعل من أهم ملامح علاقة مدرسة ابن عبد الوهاب المعاصرة بالآخر:

١ - علاقتها مع المخالفين في داخل البلاد:

إن مما يلحظ أن فكر مدرسة ابن عبد الوهاب لا تزال صبغته ظاهرة في النظام العام للدولة، برغم الانفتاح على المدارس الأخرى، وعدم التقيد بالمدرسة. وتعليل ذلك ظاهر ومعقول، كون هذه الدولة المعاصرة امتداداً فكرياً وتاريخياً للدولة السعودية التي يبلغ عمرها زهاء ثلاثة قرون.

ولذا يصح القول بأن محتوى الفكر الذي تقوم عليه هذه الدولة هو فكر السلف الذي جدده الشيخ ابن عبد الوهاب. بل ليس للدولة خيار آخر غيره.

ومما يعزز ذلك ما قرره إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ) من اعتبار ذلك مسؤولية الدولة المسلمة.

فقد تساءل: ما الحق الذي يحمل الإمام الخلق عليه في الاعتقاد إذا تمكن منه؟

ثم أجاب بقوله: "... إن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء، وكانوا ينهون عن التعرض للغوامض، والتعمق في المشكلات والإمعان في ملابس المعضلات والاعتناء بجمع الشبهات"<sup>(١)</sup>.

(١) غياث الأمم في التياث الظلم ص ١٩٠ تحقيق: د. عبد العظيم ديب.

وتأسيساً على ذلك ، فأى فكر آخر يناهض هذا الفكر فإن النظام العام للدولة يمنعه ، ومن حق الدولة رفضه .

لكن برغم ذلك ، فإن الاستراتيجية العامة لعلاقة المدرسة بمخالفاتها في هذه البلاد قد تختلف منطلقاتها في القناة الرسمية عنها في القناة غير الرسمية .  
فالقناة الرسمية تجعل من المصلحة الوطنية منطلقاً لاستراتيجية العلاقة مع المخالفين .

في حين أن منطلق القناة الأخرى هو أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

وعندئذ تلتقي القناتان على أهمية المصالحة والمفاهمة مع الأطراف والطوائف كافة ، وعدم الرغبة في إثارة النزاع الذي يؤدي إلى الفرقة والفسل .  
٢ - علاقة المدرسة بالمخالفين في خارج البلاد .

ينقسم المخالفون إلى مسلمين وغير مسلمين ، ولا بد أن تكون العلاقة بكل منهما ذات سمات تختلف عن الأخرى .

فأما العلاقة بالمسلمين المخالفين فكراً ، فهي تنطلق من محورين :  
الأول : الأخوة العامة ، وتظهر آثارها في التواصل معهم علمياً وثقافياً ، وسياسياً ، إلا أنه لما كانت هذه الأخوة ظاهرة وشكلية لم تحقق أغراضها المأمولة .  
الثاني : الانقباض النفسي المتبادل بين المختلفين ، بحيث لا تتحقق الموالاة أو المودة بصورة تامة ، بل تكون ناقصة بقدر حجم الاختلاف وعمقه .  
ومن هنا يصاب جسد الأمة بالشلل وفقدان الحس وهو ما أشار إليه الحديث الشريف : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)<sup>(١)</sup> .

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم (صحيح البخاري برقم ٦٠١١ ، وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦) .



وأما العلاقة بغير المسلمين فهي تقوم على ثلاثة محاور :

الأول : الاشتراك بالقيمة الإنسانية العامة.

وهو ما يحقق عدة مصالح منها :

أ - الاحترام المتبادل بين عموم البشر.

ب - الرفق في التعامل.

ج - البر والإحسان إلى كل نفس.

د - التعاون على البر والتقوى ، والمصالح المشتركة.

هـ - احترام العهود والمواثيق.

و - العدل في المعاملة.

ز - السعي نحو الصلاح للإنسان والبيئة ، والبعد عن الفساد في الأرض.

ودلائل ذلك في النصوص الشرعية كثيرة ، لا يتسع المجال لذكرها.

ولكن هل استطاعت المدرسة أن تحقق هذه المصالح؟ والظاهر أن الجواب

بالإيجاب إلى حد كبير.

الثاني : البراءة من الشرك وأهله :

وأصل معنى البراءة : "التباعد من الشيء ومزاييلته"<sup>(١)</sup> وهو تباعد معنوي أكثر

من كونه مادياً. وقد دلت على ذلك آيات قرآنية عديدة ، كقول الحق تعالى : ﴿قَدْ

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۖ﴾ [الممتحنة : ٤] .

وهذا أصل مهم من أصول دعوة ابن عبد الوهاب ، ويكاد أن يكون حاضراً

في واقع العلاقة المعاصرة.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص ١٢٨ .

الثالث : العزة الإسلامية :

وأصل العزة : " حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب " (١).

فإذا كانت هذه العزة بالله وبالإسلام كانت حقيقية وباقية .

أما إذا كانت العزة بغير الله فهي وهمية وزائلة.

وفي التنزيل : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] .

وإذا تنازل المسلم عنها فلم يتعزز بالله وبالإسلام فإنه يكون ذليلاً أمام خصوم الإسلام.

لكن يجب أن يفهم أن هذه العزة هي إباء وأنفة ترفض الذلة والهوان ، وليست استكباراً أو علواً في الأرض.

ومدرسة ابن عبد الوهاب المعاصرة ما زالت متمسكة بهذه العزة وعروتها الوثيقة.

**خامساً : تقويم عام :**

أعترف مسبقاً بأن تقدير مثل هذه المدرسة وتقويمها غير يسير ، لسببين :

أحدهما : تداخل هذه المدرسة مع المدارس السلفية الأخرى في كثير من جوانب الفكر والمنهج.

الآخر : وجود التنوع والتعدد داخل المدرسة نفسها ، ناهيك عن وجود القناتين السابقتين ، القناة الرسمية ، والقناة غير الرسمية ، اللتين تعكسان مسارين مختلفين في الآليات والأطروحات والوسائل.

إلا أن ذلك لا يمنعنا من التقويم أو التقدير المجمل ، وليس المفصل.

فهذه المدرسة برغم ثباتها على الأصول العامة لدعوة ابن عبد الوهاب إلا أنها تعصرت وتفاعلت مع الواقع بكل متغيراته ومعطياته.

(١) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص ٣٣٢ .

ولعل من أهم معالم الثبات على الأصول ، تلك السمات الفكرية والمنهجية التي أشرنا إليها ، فإن كثيراً منها هو من صميم فكر ابن عبد الوهاب ، ومن ذلك :

- أ - العناية بتوحيد العبادة.
  - ب - العناية بالولاء والبراء.
  - ج - التحذير من البدع.
  - د - تعديل جملة الصحابة.
  - هـ - ترجيح مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد والفقه.
  - و - الإشادة بمدرسة ابن تيمية وابن القيم .
- أما أهم معالم التحديث والعصرنة :
- أ - الاعتراف بالواقع السياسي الدولي ، الذي ينتظم أشخاص الدول والمنظمات الدولية.
  - ب - التعامل الدبلوماسي والتجاري والثقافي مع معظم الدول والمجتمعات الإنسانية.
  - ج - السفر والسياحة في شتى أصقاع المعمورة.
  - د - قبول العمالة الأجنبية من شتى الجنسيات .
  - هـ - تشجيع حوار الحضارات ، والتعايش السلمي.
  - و - الانفتاح على العالم أخذاً وإعطاء.
- وقبل أن نغادر هذه المدرسة ، لا بأس أن نثبت في أسطر معدودة شهادات بعض المنصفين والمحايدين نحو مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لننظر كيف هي نظرهم تجاهها؟

- ١ - يقول لوثرروب ستودارد الأمريكي : " وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة ، مهد الإسلام ، يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح

والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت ، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد " ويضيف : " وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبد الوهاب ليشبه شبهاً كبيراً ذاك الذي نهجه الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر... " (١).

٢- يقول أمير البيان شكيب أرسلان (١٣٦٦هـ) : " لا ينكر أن الوهابية هي نهضة في الإسلام عظيمة ممتدة في أكثر بلاد العرب وفي الهند ، والقائمون بها أولو تعصب شديد ، وربما أفرطوا في مبادئهم وغلوا في عقائدهم شأن جميع المذاهب التي لا يقف أتباعها عند الحد الذي وضعه أصحابها ، ولكن المقرر أنها حركة إنابة إلى العقيدة الحق وهدى السلف الصالح واقتفاء أثر الرسول ﷺ والصحابة ونبذ الخرافات والبدع ، وحظر الاستغاثة بغير الله ومنع التمسح بالقبور والتعبد عند مقامات الأولياء ولذلك يسمونها عقيدة السلف ويلقب الوهابيون أنفسهم سلفيين... " (٢).

٣- يقول الأستاذ أحمد أمين (ت ١٣٧٣هـ) : "... وهكذا شغلت ذهنه - يعني ابن عبد الوهاب - فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شريك وفكرة التوحيد في التشريع ، فلا مصدر له إلا الكتاب والسنة ، هذا هو أساس دعوة محمد بن عبد الوهاب ، وعلى هذا الأساس بنيت الجزئيات... فكانت دعوة ابن عبد الوهاب حرباً على كل ما ابتدع بعد

(١) حاضر العالم الإسلامي ٢٦٠/١ - ٢٦١ .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ، الحاشية رقم (١) ٢٦٤/١ مرجع سابق .

الإسلام الأول من عادات وتقاليده... لم ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية كما فعل معاصره محمد علي باشا وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها والروح وحدها ، فعنده أن العقيدة والروح هما الأساس وهما القلب ، إن صلحا صلح كل شيء ، وإن فسدا فسد كل شيء" (١).

٤- يقول الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار (ت ١٤١١ هـ): "... نشر العلماء المغرضون عن الوهابية الأكاذيب المختلفة والدعاية السيئة فأطلقوا على الدعوة التي قام بها الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب اسم "الوهابية" وأحاطوه بكل شر ورذيلة ، وجعلوا اسم الوهابية علماً على الوحشية والجمود والهمجية وأفهموا الناس ذلك عن طريق السفسطة والمنطق الخادع فصدقوهم... ليس للوهابيين مذهب خاص تفردوا به عن أهل السنة والجماعة ، كما يظن الذين لم يدرسوا الوهابية أو المغرضون وكذلك لم يكن الشيخ محمد مبتكراً طقوساً دينية تخالف ما جاء به القرآن والحديث ، ولم ينفرد بأمور لا تتفق والإسلام" (٢).

تلك بعض الأقلام المحايدة التي كتبت عن دعوة ابن عبد الوهاب جئت بها ضميمة لا أصيلة ، لكون هذه الدعوة أصلاً ومصدراً للدعوة السلفية المعاصرة.

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، أحمد أمين ص ١٢ - ١٥ بتصرف.

(٢) محمد بن عبد الوهاب ، أحمد عبدالغفور عطار ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

## الخاتمة

قد يبدو للقارئ للمباحث السابقة، أن المدارس السلفية المعاصرة متعددة في رؤاها ومشاربها، ومختلفة في أصولها وفروعها، إلى حد التنافر والتشتت، بحيث لا يجمعها جامع، ولا يربطها رابط.

والحق أن في هذا التصور شيئاً من الواقعية، إلا أنها ليست كل الواقعية. إذ بقدر ما تفرق تلك المدارس، تكون وجوه الالتقاء والاتفاق. ولعل من أهم وجوه الاتفاق:

- ١- اعتماد النصوص التشريعية الثابتة، وتعظيمها.
  - ٢- الاستغناء عن الأحاديث الواهية وعدم التعويل عليها.
  - ٣- عدم الميل إلى التأويل.
  - ٤- نبذ البدع والخرافة.
  - ٥- إجلال علماء السلف بعامة، وصحابة رسول الله ﷺ بخاصة.
- وهذه الوجوه (المبادئ) لها أثر كبير على الفكر والمنهج لدى جميع المدارس السلفية، مما يجعل التواصل بينها ممكناً ومتيسراً، إذا تزكت النفوس من الأهواء والعصبيات.
- أما وجوه الاختلاف بين هذه المدارس فهي كثيرة، لكنها ليست كلها على درجة واحدة، وذات بعد واحد.
- فقد يكون خلافاً شكلياً، أو فرعياً، كما قد يكون خلافاً حقيقياً أو أصلياً، سواء في طبيعة الفكر أو التفكير أو المنهجية أو الآليات والوسائل.
- وهذا الاختلاف هو ما جعلها مدارس؛ وليست مدرسة واحدة. إنها مدارس متنوعة أو مختلفة، تلتقي أحياناً وتفرق أحياناً أخرى.
- وذلك في تقديري يمكن أن يحسب للسلفية لا أن يحسب عليها. وهو عنوان

المرونة فيها، وسعة رحمها ، بحيث يستوعب أصنافاً شتى ، ممن يستظل بظل أهل السنة والجماعة ، وينضوي تحت لوائهم.

وهو يصحح مفهوماً سائداً عند بعض السلفيين ، وعند كثير من خصومهم ، وهو أن السلفية وعاء ضيق ، لا يستوعب إلا فئة محدودة من المسلمين ، قد تحويها منطقة محدودة ؛ أو دولة معينة ، أو يجمعها شيخ واحد ، أو ما إلى ذلك من التخييلات.

ومما يدل على سعة رحم "السلفية" استيعابها لمدرسة أهل الحديث ، وأهل  
الفقه ، أو أهل الأثر وأهل الرأي.

كما أظلت على مدار الزمن أنظمة سياسية متعددة في الحجاز ، ودمشق ، وبغداد ، وقرطبة ، والقاهرة والدرعية والرياض وغيرها.

ولذا يصح القول بأن السلفية مصطلح مرادف لأهل السنة والجماعة.

والقاعدة أن كل من أخذ بالوحيين وآمن بهما فهو من أهل السنة ، حتى لو وجدت عنده مخالفات ومعاص ، ما لم تكن عنده بدعة كلية حقيقية.

ومن هنا يدخل في لوائهم علماء الإسلام المشاهير كالأئمة الأربعة  
والمحدثين ، والفقهاء الكبار من أتباع الأئمة منذ القرن الثاني الهجري ، وحتى اليوم .  
والله ولي التوفيق ، ، ، ، ،